قصة من اعماق التاريخ

بقلم الاستاذ فؤاد البعلي

خدعة بالاكراه

(وهذه حادثة تاريخية كتبتها دون تحيز لجانب ضد آخر ،)
(وصغتها في قالب قصصي وليس لي من وراء ذلك أي قصد)
(وهي تبين كيف بدأ الحكم الوراثي الملكي ، وكيف قابله)
(العرب بادىء بدء بالمعارضة الشديدة كما تبين دهاء معاوية)
(وحلمه ...)

وعدل معاوية عن خطته مع (المغيرة بن شعبة) بعزله عن ولاية الكوفة وتناسى بغضاءه له وذلك عندما سار المغيرة الى يزيد بن معاوية وقال له :

ـ لقد ذهب اعيان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكبراء قريش وذوو السنانهم ، وانما بقي ابناؤهم .. وانت من افضلهم واحسنهم رأيا ، واعلمهم بالسنة والسياسة ، ولا ادري ما يمنع امير المؤمنين ان يعقد لك البيعة .

ـ او ترى ذلك يتم ؟

ـ نعم !

فدخل يزيد على ابيه وهو جدا مسرور لهذا النبأ الذي لم يك ينتظره ـ ولاسيما من المغيرة ـ واخبره بما قال المغيرة ، فاستبشر معاوية خيراً ، فاحضره واخبره بما يقول يزيد فقال:

ـ يا امير المؤمنين ، قد رأيت ما كان من سفك الدماء ، والاختلاف بعد عثمان ، وفي يزيد منك خلف ، فاعقد له .. فان حدث بك حادث كان كهفاً للناس ، وخلفا منك ، ولا تسفك دماء ، ولا تكون فتنه .

ـ ومن لي بهذا ؟

اكفيك اهل الكوفة ، ويكفيك زياد اهل البصرة وليس بعد هذين من احد يخالفك

ـ اذن ، فارجع الى عملك ! وتحدث مع من تثق اليه في ذلك ، فترى ونرى

ـ احس معاوية بغبطة وسرور شديدين ، ومن حقه ان يشعر بذلك ، فالموت يزحف اليه وهو يقضي بضع ساعات يوميا بالتفكير فيما تؤول اليه الخلافة من بعده . اذاً ، فلم يعد هنالك ما يخيفه وفكر بما قال المغيرة .

***

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة ، وذاكر من يثق اليه ومن يعلم انه شيعة لبني امية امر يزيد ؟

فاجابوا الى بيعته ، فاوفد منهم عشرة ، واعطاهم ثلاثين الف درهم وجعل عليهم ابنه موسى وقدموا على معاوية فزينوا له بيعة يزيد ودعوه الى عقدها

***

قوى عزم معاوية على البيعة ليزيد فقد ارسل الى زياد والى البصرة يستشير في اسناد هذه البيعة لابنه ، فاحضر زياد عبيد ابن كعب النميري وقال له :

ـ ان لكل مستشير ثقة ؛ ولكل سر مستودع وان الناس قد ابدع بهم خصلتان . اذاعة السر واخراج النصيحة الى غير اهلها وليس موضع السر الا احد رجلين رجل آخرة يرجو ثوابا ، ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه . وقد خبرتها منك ودعوتك لامر اتهمت بطون الصحف فيه ان امير المؤمنين كتب الي يزعم انه قد عزم على بيعة يزيد ، وانه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم وعلاقة امر الاسلام وضمانه عظيم (ويزيد) وصاحب تهاون مع ما قد اولع به من الصيد فالق امير المؤمنين ـ مؤديا عني ـ واخبره عن افعال يزيد وقل له رويدك بالامر ولا تعجل .

وادعم هذه المقالة بنصائح ينصح فيها يزيد بأن يكف عن كثير مما يعاب عليه فلاقت نصائحه من يزيد اذنا صاغية وقبل معاوية استشارة زياد .

وحاول ـ معاوية ـ ان يستميل عبد الله بن عمر بن

الخطاب الى جانبه ، فارسل اليه مائة الف درهم هدية له ولكنه لما علم بنوايا البيعة ليزيد سخط اشد السخط وقال :

ـ اراد ان ديني عندي لرخيص !

فامتنع عن قبول (هدية) معاوية وارسلها اليـــه ثانية معززة مكرمة ! هذا في الوقت الذي كتب فيه معاوية الى مروان بن الحكم ـ في الحجاز يقول ـ

اني قد كبرت سني ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الامة بعدي وقد رأيت ان اتخير لهم من يقوم بعدي وكرهت ان اقطع امراً دون مشورة من عندك ، فاعرض ذلك عليهم ، واعلمني بالذي يردون عليك ، فدعا مروان الناس الى التجمع وقرأ فيهم خطاب امير المؤمنين فقال الناس اصاب ووفق وقد اجبنا ان يتخير لنا فلا يألو

فكتب مروان الى معاوية بذلك وجاء اليه الرد بذكر ليزيد . فقام عبد الرحمن بن ابي بكر وقال :

ـ كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ، ما الخيار اردتما لامة محمد ، ولكنكم تريدون ان ـ تجعلوها هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل .

فقال مروان :

ـ هـذا الذي انزل الله فيه والذي قال لوالديه (اف لكما) .. الخ الآية

فسمعت عائشة مقالته ـ اذ كانت وراء الحجاب ـ فقامت وقالت :

ـ يا مروان .. يامروان

فانصت الناس وهدأت حركتهم فاقبل مروان فقالت له :

ـ انت القائل لعبد الرحمن انه انزل فيه القرآن ؟ كذبت والله ما هو به ولكنه سيدنا محمد (ص) ولكنك انت فضض من لعنة نبي الله

فشجع هذا الحسين بن علي فانكر ذلك وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير فارسل مروان الى معاوية يقص عليه ماحدث

ولم يكتف معاوية بهذا بل ارسل الى جميع عماله بتقريظ يزيد ووصفه وان يوفدوا اليه الوفود من الامصار فكان فيمن اتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والأحنف بن قيس في وفد اهل البصر فقال محمد بن عمرو لمعاوية :

ـ ان لكل راع مسؤل عن رعيته فانظر امـة محمد

وسمح معاوية للاحنف ان يدخل علي يزيد وبعد ان خرج من عنده قال له :

كيف رأيت ابن اخيك ؟

ـ رأيت شبابا ونشاطا وجلدا ومزاحا !!

اما الضحاك بن قيس الفهري فقد قال له معاوية :

ـ اني متكلم فاذا سكت فكن انت الذى تدعو الى البيعة ليزيد وتحثني عليها !!

فلما قام معاوية خطيبا في الناس تكلم فعظم امر الاسلام وحرمة الخلافة وحقها وما امر الله به من طاعة ولاة الامر ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض بيعته

فعارضه الضحاك فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

ـ يا امير المومنين انه لابد للناس من وال بعدك وقد بلونا الجماعة والالفة فوجدناهما احقن للدماء واصلح للدهماء وآمن للسبل وخيراً في العاقبة والايام عوج رواجع والله كل يوم هو في شأن ويزيد بن امير المومنين في حسن هديه وقصد سيرته ـ على ما علمت ـ وهو من افضلنا علماً وحلماً وابعدنا رأياً فوله عهدك واجعله لنا علماً بعدك ومفزعاً نلجأ اليه ونسكن في ظله .

ثم تكلم عمرو بن سعيد الاشدق فايد الضحاك في ما قال وقام يزيد بن المقنع العذري فقال :

ـ هذا امير المومنين (واشار الى معاوية) فان هلك فهذا (واشار الى يزيد) ومن ابى فهذا (واشار الى سيفه) فقال له معاوية :

ـ اجلس فانت سيد الخطباء يابا بحر ـ الاحنف ـ ماتقول ـ نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا وانت يا امير المومنين اعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه فان كنت تعلمه لله تعالى وللامة رضا فلا تشاور فيه وان كنت تعلم غير ذلك فلا تزوده الدنيا وانت صائر الى الآخرة ، وانما علينا ان نقول سمعنا واطعنا !

فقام رجل من اهل الشام وقال ما ندري ماتقول هذه

(المعدية العراقية) . وانما عندنا سمع وضرب وازدلاف .

***

علم معاوية ان خطته هذه لاقت بعض النجاح ولاكمال هذا النجاح طفق يوزع الاموال ويعطي المقارب ويداري المباعد حتى استوثق له اكثر الناس ولم يبق في العراق والشام من لم يؤيده في هذه البيعة .

لقد بقي الحجاز ثائراً على خطة معاوية هذه ولم يرقه ان يؤيد مثل هذه (الاساليب المرقلية) . فابى ان يتولى عرش الاسلام شاب ماجن قليل الخبرة الادارية شديد الميل الى اللهو ووسائل العبث والمجون مادام هناك فطاحل من العرب الاسلام الافذاذ الابرار الذين كرسوا جهودهم للاسلام ولم تصدر منهم اية شائبة .

اذن فهذا تحد وهذا تجن وهذا ما لا يرضاه المخلص لاسلامه والغيور لعروبته .

ولكن معاوية سار الى الحجاز في الف فارس وما كاد يصل الى المدينة حتى لقيه الحسين بن علي اول الناس فحدج فيه معاوية كثيراً ثم قال :

ـ لامرحباً ولا اهلاً بدرة يترقرق دمها والله مهريقه !

ـ مهلا فاني والله لست اهلا لهذه المقالة :

ـ بلى ولشر منها .

وخطا معاوية خطوات اخرى فلقيه عبد الله بن الزبير فقال له معاوية :

ـ لا مرحباً ولا اهلا (خب ضب تلعة) يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك الله ان يؤخذ بذنبه ويدق ظهره ! .

وضرب راحلة ابن الزبير وسار في طريقه .. فلقيه عبد الرحمن ابن ابي بكر فقال له معاوية :

ـ لا اهلا ولامرحباً ، شيخ قد خرف وذهب عقله .. ثم امر بضرب راحلة عبد الرحمن فتم له ما اراد !..

وصل معاوية الى المدينة ليتم له ما يريد من الاطاع والمآرب وصل الى المدينة ليرغم اهلها على البيعة ليزيد وصل الى المدينة فكان اول ما فعله انه خطب فذكر يزيد واكثر من مدحته واكد بأن ليس هناك من هو احق منه بالخلافة في عقله وفضله وموضعه .

ثم سمح له بالدخول على عائشة « ام المؤمنين » وقد بلغها انه قد هدد الحسين « ع » واوصى به بالقتل ان لم يبايعوا ! تشكاهم اليها !! فقالت له :

ـ بلغني انك تهددهم بالقتل ؟

ـ يا ام المؤمنين ، هم اعز من ذلك ، ولكني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم أفترين ان انقض بيعة قد تمت ؟

ـ فارفق بهم ، فانهم يصيرون الى ما تحب ان شاء الله ، ثم ما يؤمنك ان اقعد لك رجلا يقتلك ، وقد فعلت بأخي ما فعلت

ـ كلا يا ام المؤمنين .. اني في بيت آمن !

ـ أجل

ومكث معاوية « بالمدينة » اياما عديدة خرج بعدها الى مكة فلقيه الناس ، فقال اولئك النفر نتلقاه ، فلعله قد ندم على ما كان منه .

بلى .. لقد كان الحسين واصحابه واقفين لمعاوية بالمرصاد ، ومن حقهم أن يقفوا له هكذا ، فقد اعلنوا مرة على عدم ولائهم لمعاوية ، لان ما يحيي به معاوية انما يتنافى مع مبادئ الاسلام ، ومع الشريعة الاسلامية . فتقدم معاوية ، وكان اول من لقيه الحسين فقال له :

ـ مرحباً واهلا بابن رسول الله ، وسيد شباب اهل الجنة .

فامر له ولكل من اصحابه بدابة فركب الحسين ثم ركب الباقون . وراح معاوية يسايرهم حتى وصلوا قلب مكة .. ولما رأوا الحفاوة والتكريم الزائدين من معاوية والتقدير والاجلال العظيمين قال بعضهم لبعض « لاتخدعوا » فما صنع لكم هذا لحبكم وما صنعه الا لما يريد ، فاعدوا له جوابا وتداولوا فيما بينهم ورشحوا ابن الزبير على ان يكون المخاطب له اما معاوية فقد احضرهم وقال لهم :

ـ قد علمتم سيرتي فيكم ، وصلتي لارحامكم ، وحملني ما كان منكم ، ويزيد اخوكم وابن عمكم واردت ان تقدموه باسم الخلافة وتكونوا انتم تعزلون وتأمرون وتجبون المال وتقسمونه ، لايعارضكم في شيء من ذلك .؟!

ألا تحيون ؟

ثم اقبل على ابن الزبير وقال له :

ـ هات لعمري ، انك خطيبهم . .

ـ نعم ! نخيرك بين ثلاث خصال . .

ـ اعرضهن .

ـ تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او كما صنع ابو بكر ، او كما صنع عمر . .

ـ ما صنعوا ؟

ـ قبض رسول الله (ص) ولم يستخلف احداً ، فارتضى الناس ابا بكر . .

ـ (مقاطعاً) ليس فيكم مثل ابي بكر ، واخاف الاختلاف

ـ صدقت فاصنع كما صنع ابو بكر فانه عهد الى رجل من قاصية قريش ، ليس من بني امية ، فاستخلفه وان شئت فاصنع كما صنع عمر ، جعل الامر شورى في ستة نفر ليس فيهم احد من ولده ، ولا من بني ابيه .

ـ (بضجر) هل عندكم عمر هذا ؟!

ـ لا . .

ـ وانتم . . (واشار بيده الى اصحاب ابن الزبير)

ـ قولنا قوله . .!

ـ (يهددهم ويغضب) اني احببت ان اتقدم اليكم ، انه قد اعذر من انذر ! اني كنت اخطب فيكم ، فيقوم اليكم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فاحمل ذلك واصفح . واني قائم بمقالة فاقسم الله لئن رد علي احدكم كلمة في مقامي هذا ، لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين الا على نفسه ! !

ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال : اقم على كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف ، فان ذهب رجل منهم يرد علي كلمة بتصديق او تكذيب ، فليضرباه بسيفهما ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال :

ـ ان هؤلاء الرهط من سادة المسلمين وخيارهم (يشير اليهم) لا يبتز امر دونهم ، ولا يقضى الا عن مشورتهم وانهم قد رضوا وبايعوا ليزيد (! !) فبايعوا على اسم الله ! !

فلما رأى الناس (وكانوا ينتظرون بيعة هذا النفس ان ليس هناك من يقوم للرد عليه ، ولاسيما الحسين واصحابه) بايعوا

ولكن ما ان رجعوا ، حتى خابت آمالهم ، فقد لقي الناس هؤلاء النفر ، فقالوا لهم :

ـ زعمتم انكم لا تبايعون ، فلم رضيتم واعطيتم وبايعتم ؟

ـ والله ما علمنا .

ـ امنكم ـ اذن ـ ان تردوا على الرجل ؟

ـ كادنا وخفنا القتل . .

***

وهكذا بايعه اهل الحجاز . اما معاوية فقد انصرف الى الشام بعد ان اخذ ولاية العهد لابنه بالاكراه . . !

بغداد

فؤاد البعلي

ما الذي يفرق قلبينا

للشاعر عبد الرحمن رضا

يصلي ديرك والمعبد ... يا راهب ظبي يتعبد
يتدلى فوق ترائبه ... عقدا (صليب) من عسجد
يتلو (الانجيل) بالحان ... ما جاء برقتها « معبد »
ويطوف على المحراب ومن ... مجرى نهديه يفوح الند
ومجامر شمع في كفيـ ... ـه نذوراً لله الأوحد
يتأود كالغصن الاملو ... د ويلفت عن جيد اجيد
واذا ما افتر ترى زهراً ... ريان بخديه ورد
لا البدر التم كطلعته ... حسناً ان لاح ولا الفرقد
رجمال مفاتنه الأخا ... ذ يقام له وله يقعد
ريان النهد رشيق القد ... اثيث الجعد اسيل الخد
وسنان الطرف وسامره ... نشوان من غير الصرخد
يا راهب رفقاً بفؤا ... داضواه الهجر وفرط الصد
انا لا اجحد فيه حسناً ... فعلام يجبه لي يجحد
ماالدين يفرق قلبينا ... في الحب اذا شرف المقصد
والدين وان فيه اختلف ... الانسان فللمثلى مجد
(عيسى) ماأنت سوى قيس ... للحسن تعشقه « احمد »
انا صورة ... عبد الرحمن رضا